

الثقافة

أكثر من ألف مصباح محرق ومصباح :
مجموعة متحف فن أوائل العصر الإسلامي
في بامبرغ

يعود فضل احتضان بامبرغ للمتحف الفريد من نوعه الموجود حالياً في ألمانيا إلى شغف مانفرد بوملر في اقتناء وجمع المخططات واللقي الأثرية: متحف فن أوائل العصر الإسلامي يكرس اهتماماته في المقام الأول على الأواني البرونزية التي تعود إلى الفترة الممتدة من القرن السابع حتى القرن الحادي عشر.

عندما دخل علاء الدين إلى المكان طالعه كميات كبيرة من المصابيح النفيسة، من بينها أحد المصابيح المكمرة بطبققة من الصدا والفسار وهكذا أخذ بهز رأسه متعجباً، إذ إنه لم يستطع أن يعرف السبب الذي يجعله يأخذ هذه القطعة المتهرمة بالذات على الرغم من كثرة التحف الأخرى الموجودة الأكثر جمالاً والأعلى قيمة. إلا أن النفس النبيلة عندما تعثر على كنوز محفوفة بالأسرار - والحمد للقصص الخرافية - فإن الانتصار الضمير لا يصبح موضعاً للتساؤل. ومع هذا فإن حكايتنا هذه تبقى مائة للقارئ بمواهب شافية: يا ترى كيف يمكن للمرء أن يتصور فيها مصباح علاء الدين السحري؟ فعلى حد ما ترويه القصص المتناقلة يقال إن المصباح كان متصدداً ومتهزماً - لكن هل كان وعاء الزيت فيه مفتوح الشكل أم كان نحيف الهيئته؟ وهل كانت قاعدته مدورة بسيطة أم متدرجة غنية بالزخارف؟ وهل كان سطحه يتوج بقطعة على صورة تمثال، أم أن زينهته كانت تقتصر على كرية واحدة عادية الشكل؟

للوهلة الأولى يبدو وكأن مانفرد بوملر قد كرس حُل وقته للبحث عن هذا المصباح السحري كما تحدثت عنه قصص ألف ليلة وليلة. وبالفعل فإنه قام خلال ١٦ عاماً خلت باقتناء أكثر من ٣٦٠٠ تحفة معدنية تعود إلى العشرات الواقعة بين القرن السابع والقرن الحادي عشر، وتلقفها، وصنّفها، وزودها بالبيانات التوضيحية. وصورها، وأرشفها ووضعها داخل فترينات زجاجية جميلة المنظر. وكما يقول بوملر فإن «الشركة التي تلتف من رجل واحد» التي يملكها قد تضافت ملكيتها في هذه الأثناء وتعدت قيمتها ٣٠ مليون مارك. ومن بين التحف القيمة التي تضمها «هذه المجموعة الهائلة من القطع البرونزية التي تعود إلى أوائل العصر الإسلامي» يوجد أيضاً ٧٥١ مصباحاً زيقياً أو أجزاء منها - على سبيل المثال أطباق، أحواض، أو تحفيات تحتوي على أكثر من أربعة أوعية، أو مخروطية الأشكال، أو ذات منطابير كروية الشكل ذات مقابض إهلولة، أو على شكل شخصيات مزدوجة أو ذات أربع قوائم.

منذ عام ١٩٩٥ يمكن مشاهدة نحو ٢٠٠٠ وعاء برونزي من المجموعة في متحف فن أوائل العصر الإسلامي في بامبرغ وفي الوقت الذي نأق فيه ساحة المتاحف في كل حذب وصوب من عوالم ترشيد الإنفاق ووطأة تقليص الموازنات، تبدو أخبار متحف بامبرغ وكأنها فائمة من عالم مسحور. وربما كان لهذا المتحف المكرس لفن أوائل العصر الإسلامي ناحية غير معروفة في ألمانيا إلا منذ ٩٠ عاماً، في الواقع علاقة مع السحر. مع قوة الجذب السحرية التي تشعها القطع البرونزية الجميلة المتوش على

هذا الرجل البالغ من العمر ٦٩ عاماً والذي طالما تشوق إلى تحقيق رغبة جامحة في نفسه: فتح الأبواب على مصراعها أمام الجمهور لمشاهدة مجموعته الفنية التي لم تكن معروفة حتى الآن، ونشروا لأن ولاية بافاريا كانت قد التزمت وتعهدت بإقامة كرسي دائم لأستاذ ضيف لتاريخ الفنون وعلوم الآثار الإسلامية في جامعة بامبرغ، الذي موله من عام ١٩٨٨ حتى عام ١٩٩٢ الثمار ميراث العلوم الألمانية، ووقع اختيار مانفرد بوملر خلال بحثه عن مكان ملائم لإقامة متحف الجيد على مدينة بامبرغ وعلى الرغم من أنه كان قد قرره في بداية الأمر التفرغ بمجموعته الثمينة إلى جامعة شيكاغو أو جامعة لندن، فإنه قام في عام ١٩٩٢ بشرائه عمارة قديمة تقع في قلب المدينة التاريخية من المدينة تعود إلى عام ١٥٨١، يتكون المبني الذي يعود إلى القرن الرابع عشر من ثلاثة طوابق لتتصب على قبة مقور بريملي المتكامل مكان كاف واسع لاحتضان المجموعة الكبيرة. ومن أجل إعطاء المتحف الإطار القانوني اللازم أنشأ هذا الرجل لعلود في منطقة الراين - مؤسسة بوملر للفنون. وذلك في عام ١٩٩٣. وبعد مرور عامين على افتتاح المتحف، قامت ولاية بافاريا بتنفيذ التزاماتها السابقة وأسست قسم فن التاريخ وعلم الآثار الإسلامية في جامعة بامبرغ في بداية هذا الفصل الدراسي تم استدعاء السيدة بوملر فينسترا لأشغال مقعد الأستاذية في القسم المذكور في جامعة بامبرغ.

إن مانفرد بوملر نشور جيداً بمجموعته الفنية التي تعود إلى أوائل العصر الإسلامي التي جمعها بصبر وبكثير من العمل الدؤوب، والتي - كما يرى - قامت بتخطيم الكثير من الأرقام القياسية - إنه نشور بمجموعته التي تضم قسماً من ماء الورد، واليونقات، والمرابا، والمباخر، والمرشآت، والصحون، ومعظم قطع المجموعة تقريباً تعود إلى منطقة خراسان الموزعة رقعتها حالياً على

إلى اليمين تحفان أصليتان من العصر الوسيط إلى الحسن إبرهق مزيفه فعلى الرغم من شكله الأصلي الذي قد يعود إلى القرن الثامن أو العاشر، إلا أنه مزيف بزخرفة من القرن الثاني عشر - لا بل إنه من القرن العشرين

للوهلة الأولى يبدو كتمثال صغير مصباح زيني على شكل شير يعود إلى القرن الثامن أو إلى القرن العاشر

افغانستان وليران

وتركمنستان. ولم يكن الناس يعرفون إلا القليل من فنون المعادن في هذه المنطقة في الفترة الواقعة بين القرن السابع والقرن الحادي عشر. غير أن هذا تبدل عندما حوّل شغف جمع النفائس المذكورة على قلب الخبير في شؤون الضرائب التاجر مانفرد بوملر يصف بوملر مساهماته العلمية بكلمات متواضعة: إنه يحاول «من الناحية التجريبية المفضة» تجميع كل ما يقع بين يديه من أشياء، ويأمل بإقامة اتصالات مكلفة مع المتاحف التي تركز نفسها للفنون الإسلامية. إلا أنه سرعان ما يعود بأفكاره إلى ما بهواه ويمشقه، إلى شغفه بالجمع والتجميع: «إن القيام بمثل هذه الأمور لا يمكن أن يؤديها إلا الإنسان المصاب قليلاً بالجنون».

